الفنون كثير الإنصاف كثير الكتب. ولما استقر بدمشق أعطى الشافعية ألف دينار وقال: هذه حضرت معي من القاهرة. وله مصنفات، منها: شرح الحاوي، وشرح مختصر المنهاج للحليمي، ثم طلب الإعفاء من القضاء فلم يجبه السلطان. وكان يعظم الشيخ تقي الدين بن تيمية ويذبُّ عنه. ويقال إن الناصر قال له: إذا وصلت إلى دمشق قلْ للنائب يُفرج عن ابن تيمية، قال: يا خوند لأيّ معنى سُجن، قال: لأجل الفتاوى، قال: فإن كان راجعاً عنها أفرجنا عنه، فيقال: كان هذا الجواب سبباً لاستمرار ابن تيمية في السجن إلى أن مات، لأنه كان لا يُذعن للرجوع. ولما خرج ابن القيِّم من القلعة وأتاه سُرَّ بهِ وأكرمه ووصله، وكان يثني على أبحاثه، قال الإسنوي في ترجمته: وكان أجمع من رأينا للعلوم مع الاتساع فيها، خصوصاً العقلية واللغوية لا يشار بها إلَّا إليه. وتخرَّج به أكثر العلماء المصريين، قال: وتحيّل عليه جماعة من الكبار في أن يبعد عن الديار المصرية لأغراض، فحسَّن للسلطان توليته قضاء الشام ففعل، فسأله السلطان في ذلك، وتلطَّف به، فاعتذر. ومن جملة ما قال للسطان: إن له أطفالاً يتأذون بالحركة، فقال له السلطان: أنا أحملهم على كفِّي وبسط يده. ومن شعره: [من الخفيف]

غَمَرتْني المكارمُ الغُرُّ مِنْكُم ... وَتَوَالتْ عَليّ مِنْها فُنونُ
شَرْط إحْسَانكم تحقَّق عِنْدي ... لَيْتَ شِعْري الجزاءُ كيفَ يكُونُ

وكان موته في رابع عشر ذي القعدة سنة ٧٢٩ تسعٍ وعشرين وسبعمائة بدمشق، وتأسَّف الناس على فقده.

(٣٠٦)

(عَليُّ بن أبي بَكْر بن سُلَيْمان بن أبي بَكْر بن عُمَر بن صَالح نُور الدين الهَيْثَمي الشَّافعي الحافظ)[1]

ولد في رجب سنة ٧٣٥ خمسٍ وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة، ونشأ بها فقرأ القرآن، ثم صحب الزين العراقي، ولم يفارقه سفراً وحضراً حتى مات. ورافقه في جميع مسموعاته بمصر والقاهرة والحرمين وبيت المقدس ودمشق وبعلبك وحماة وحلب وحمص وطرابلس وغيرها، ولم ينفرد أحدهما عن الآخر إلَّا بمسموعات يسيرة ومشائخ قليلة. وصاحب الترجمة مكثرٌ سماعاً وشيوخاً، ولم يكن الزين يعتمد في شيء من أموره، إلَّا عليه، وزوَّجه ابنته ورزق منها عدة أولاد. وكتب الكثير من

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ٤٥؛ شذرات الذهب: ٧/ ٧٠؛ كشف الظنون: ٩٥٧، ١٤٠٠؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٨٦؛ هدية العارفين: ١/ ٧٢٧؛ الأعلام: ٤/ ٢٦٦.

تصانيف الزين، وقرأ عليه أكثرها، وتخرَّج به، وورى به في إفراد زوائد كتب كالمعاجم الثلاثة للطبراني، والمسانيد لأحمد والبزّار وأبي يَعْلَى على الكتب الستة. وابتدأ أولاً بزوائد أحمد فجاء في مجلدين، وكل واحد من الخمسة الباقية في تصنيف مستقل إلّا الطبراني الأوسط والصغير، فهما في تصنيف. ثم جمع الجميع في كتاب واحد محذوف الأسانيد سمَّاه (مجمع الزوائد)، وكذا أفرد زوائد صحيح ابن حبَّان على الصحيحين، ورتّب أحاديث الحلية لأبي نعيم على الأبواب. (ومات) عنه مسودة، فَبيَّضَهُ وأكمله ابن حَجَر في مجلدين. وأحاديث الغيلانيات والخلعيات وفوائد تمام الأفراد للدارقطني أيضاً على الأبواب في مجلدين، ورتّب كُلّاً من ثقات ابن حبَّان وثقات العجلي على الحروف، وأعانه بكتبه ثم بالمرور عليها وتحريرها وعمل خطها ونحو ذلك. وعادت بركة الزين عليه في ذلك وفي غيره. وكان عجباً في الدين والتقوى والزهد والإقبال على العلم والعبادة وخدمة الزين وعدم مخالطة الناس في شيء من الأمور، والمحبة للحديث وأهله، وحدّث بالكثير رفيقاً للزين. وبعد موت الزين أخذ عنه الناس وأكثروا، ومع ذلك فلم يغيّر حاله، ولا تصدّر ولا تَمَشْيَخ، ولم يزل على طريقته حتى (مات) في ليلة الثلاثاء تاسع وعشرين رمضان سنة ٨٠٧ سبع وثمانمائة. قال ابن حجر: إنه تتبع أوهامه في مجمع الزوائد فبلغه فعاتبه فترك التتبع، قال: وكان كثير الاستحضار للمتون، يسرع الجواب بحضرة الزين فيعجب الزين ذلك، قال: وكان من لا يدري يظنّ لسرعة جوابه بحضرة الزين أنه أحفظ منه، وليس كذلك بل الحفظ المعرفة.

(٣٠٧)

(عَليُّ بن الحُسَيْن بن القَاسِم بن مَنْصُور بن عَليّ المَوْصِليّ زَيْن الدين ابن شيخ العُوَيْنَة)[1]

بالتصغير، اسم مكان كان جدُّه الأعلى منقطعاً بمكان بالموصل، وكان الماء بعيداً عنه، فرأى رؤيا فحفر حفيرة في ذلك المكان فجرت منه عين لطيفة، فقيل له: شيخ العُوَيْنَة. ولد صاحب الترجمة في رجب سنة ٦٨١ إحدى وثمانين وستمائة بالموصل، ونشأ بها وقرأ القرآن وأخذ الشاطبية وشرحها عن الشيخ شمس الدين بن الورَّاق، وأخذ سائر العلوم عن جماعة. وسمع الحديث عن زينب بنت الكمال، والمزِّي، وغيرهما،

(١) ترجمته في: الأعلام: ٤/ ٢٨٠؛ النجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٩٧؛ بغية الوعاة: ٣٣٥؛ شذرات الذهب: ٦/ ١٧٨؛ كشف الظنون: ٢٣٦، ٦٢٧؛ هدية العارفين: ١/ ٧٢٠؛ معجم المؤلفين: ٧/ ٧٧.